وفي عهد هارون الرشيد ازدهرت العلوم واللغة وازدهر الاقتصاد وهو صاحب الكلمة (اذهبي يا سحابة أينما شئت فخراجك يأتيني). وفي زمن ابنه المأمون اعتنق أغلب سكان فلسطين مذهب الإمام الشافعي الذي ولد في غزة ١٥٠ هجرية. أما الخليفة الشجاع المعتصم فقد خاض معركة عمورية ضد الروم استجابة لصرخة المرأة (وا معتصماه).

ويجدر التذكير أيضاً أن فلسطين شهدت سلسلة تمردات على «الحكم المركزي». واستنادا إلى الأكاديمي عثامنة كان «التمرد الكبير الأول على الحكم الأموي بقيادة نائل الجذامي الذي أيَّد في وقت سابق علياً بن أبي طالب على معاوية، لتنطلق حركة في زمن عبد الملك بن مروان بزعامة الحارث التي انحازت للقدرية... وهناك أيضاً حركة الجذاميان سعيد وضبعان تأييداً للخليفة المغدور الوليد بن يزيد، انضم لها أهالي فلسطين والأردن، وتمرد الجذامي ثابت على الخليفة مروان بن محمد عام ٧٤٤م. الذي انضمت له أجناد الشام ومصر.

ومرة أخرى تمرد القائد الفلسطيني حبيب بن مرة على الخليفة السفاح وقد انضم للتمرد القيسيون في جند الأردن ودمشق... ليتمرد ثانية عيسى بن بشخ ويعلن استقلال فلسطين والأردن ويبسط نفوذه على دمشق (٢٦١ هجرية) ويرفض مبايعة الخليفة المعتز».

وقد تزامنت التمردات الأخيرة مع الصراعات المريرة مع أهل الحكم في المركز، وجاءت لتعكس الميل المتنامي لدى أطراف الخلافة الإسلامية لمزيد من الاستقلال سيما في العهد العباسي، حين تفاقمت التناقضات وتمردت الأندلس، الأغالبة في تونس، الطولونيون في مصر والأخشيديون من بعدهم».

وتعتقد الأكاديمية الحوت أن (الصراع بشأن الحكم بين العرب من جهة والفرس ثم الأتراك من جهة أخرى، كان له أثره في فقدان هيبة الحكم ومركز الخلافة)[٥٠].

أما الخليفة أحمد بن طولون (تركي من أصل منغولي) فقد أنشأ قلعة يافا والقاعدة البحرية في عكا وحلبات سباق. وكتب الأكاديمي عثامنة (أن الطولونيين شجعوا الزراعة ومنحوا الفلاحين قروضاً كما شهدت المدن الفلسطينية إعماراً وتحصينات كما اتبعت سياسة متسامحة حيال أهل الذمة وسمح بترميم الكنائس والأديرة)[٥١].

---

٥٠) د. الحوت، مرجع سابق. ص١١٠

٥١) د. عثامنة، مرجع سابق. ص١١٢